العدد 14 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية تموز 2026
No. 14 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences July 2026
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

مراجعة كتاب " براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم " للدكتور سامي عامري

م. د. ميسون سامي أحمد خميس
وزارة التربية -مديرية تربية ديالى- مدرسة في ثانوية الرضوى
almashmason777@gmail.com

الملخص

كتاب " براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم " للدكتور سامي عامري هو عمل فلسفي ضخم يناقش قضيتين مهمتين هما: وجود الإله وقضية الإلحاد، وقد بين أن الإيمان بوجود الله لا يقوم على العاطفة أو التقليد وإنما يمكن إثباته من خلال عدد كبير من الأدلة والبراهين والحجج العقلية والفلسفية، وهذه الأدلة يسند بعضها بعضاً ولا تعارض بينها، واستخدم الكتاب البرهان العلمي كداعم ومعضد لهذه الأدلة من خلال مناقشة عدد من النظريات العلمية التي تتوافق مع وجود إله خالق للكون، وكذلك ناقش الكتاب قضية الإلحاد وسرد اعتراضات الملحدين ورد عليها بأسلوب يعتمد على الاقناع، مع التنبيه على أن بعض الأدلة والبراهين التي استخدمها المؤلف ليست محل اتفاق بين جميع العلماء والفلاسفة.

الكلمات المفتاحية : (براهين -وجود الله - النفس -العقل - العلم - للدكتور سامي عامري)

"Review of an Article Proofs of God's Existence in the Soul, Mind, and Science

Dr. Maisoon Sami Ahmed Khamis
Ministry of Education - Diyala Education Directorate - Teacher at Al-Ridha Secondary School

Summary

Dr. Sami Amiri's book, "Proofs of God's Existence in the Soul, Mind, and Science," is a monumental philosophical work that addresses two crucial issues: the existence of God and atheism. It demonstrates that belief in God is not based on emotion or blind imitation, but rather can be proven through a multitude of arguments, proofs, and rational and philosophical evidence. This evidence supports and reinforces itself, presenting scientific proofs that align with the existence of a Creator God. The book also examines atheism, presenting the objections of atheists and refuting them persuasively. It is important to note that some of the evidence and proofs used by the author are not universally accepted by all scientists and philosophers.

Keywords: (Proofs - Existence of God - Soul - Mind - Science - Dr. Sami Amiri)

المقدمة

قضية وجود الله والإيمان به لا يختلف أحد على أهميها؛ إذ يتوقف عليها مصير الإنسان في الآخرة، كما أنها تعطي معنى وهدف للحياة، وتحمي الإنسان من التشتت والضياع والانحراف الفكري والعقائدي، وتمنح السكينة والطمأنينة للنفس، لذلك ليس من السهولة تجاهلها أو المخاطرة فيها، وقد حاول الغرب ـ من خلال تسلط الإلحاد على المنظومة التعليمية الغربية ـ إبعاد الدين عن الواقع والقضاء على الشعور الديني، وتسرب ذلك إلى العالم الإسلامي بعدة طرق ووسائل بعضها من خلال فرض نظريات غريبة لتفسير الكون ما لبث أن تخلى الغرب عنها، ويشهد العالم الغربي الآن عودة للدين، لأن الحاجة إلى وجود إله ليس حالة شعورية فقط وإنما حاجة فطرية لا يستطيع الإنسان الفكاك منها.

أسباب اختيار الكتاب:

1- يعتبر كتاب " براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم " [1] للدكتور سامي عامري [2] من الكتب المعاصرة التي تطرح أحد أهم قضايا العقيدة الا وهو " وجود الله " بأسلوب فلسفي وعقلي، يعتمد على الحوار والمناقشة والاقناع بعيداً عن مصادرة رأي المخالف.

2. يعتبر الكتاب تجديد لعلم الكلام الإسلامي، من خلال ربط العقيدة بالأدلة العقلية والفلسفية والعلمية والوجودية.

3. الكتاب غني بالمادة العلمية، والاشكالات المعاصرة، وتعدد المداخل والبراهين، التي تخص قضية إثبات وجود إله والدفاع عن الإيمان في مواجهة الإلحاد، مما يسمح بمناسبة الكتاب للدراسة النقدية.

4. يعتبر " الإلحاد " من القضايا المهمة والخطيرة التي باتت تطفو على السطح كثيراً، فهذه القضية تحتاج إلى ثقافة وخبرة باعتراضات الملحدين ومناقشتها بأسلوب علمي وفلسفي بعيداً عن التشنج والتعصب أو أسلوب الوعظ.

المطلب الأول: التعريف بالكتاب

كتاب **" براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم "** للدكتور سامي عامري هو عمل فلسفي وفكري ضخم يناقش قضية وجود الله والرد على الإلحاد المعاصر بلغة عصرية، مستعيناً بنظريات علمية وفلسفية ونفسية، وقد جند كل البراهين والأدلة القديمة والحديثة، والعلوم في كل مجالاتها لإثبات هذه القضية، ثم تناول قضية الإلحاد من خلال عرض حجج الملاحدة ومناقشتها.

يتكون الكتاب من 750 صفحة، وهو ذو مواضيع كثيرة ومتشعبة، وكان عذر الكاتب في ذلك هو لغرض إيضاح الفكرة الكلية. يعرض الكتاب براهين الإيمان ويسرد اعتراضات المخالفين ثم يرد عليها بأسلوب عقلي وفلسفي أو علمي حسب ما يقتضي الجواب. ومن الأسئلة المهمة التي ناقشها الكاتب هي: عجز الإنسان عن التوقف في البحث عن إله، وعجز التفسير المادي عن منح الإنسان تفسير مقنع للوجود، ويقوم الكتاب على فكرتين أساسيتين، هما:

1- الدفاع عن الإيمان بالله من خلال إقامة البراهين التي تثبت وجوده، ويعرض فيه عدة أنواع من البراهين، ابتدأها من داخل النفس كالبرهان العقلي والفطري والغريزي، ثم عرض البراهين والأدلة الموجودة في الكون، ودعم وعضَّدَ هذه البراهين بأدلة الكشف العلمي على نشأة الحياة، والخلية، والتفاعلات الكيمائية والنظريات الفيزيائية والقوانين الرياضية والمعلومات وغير ذلك.

2 - نقد الإلحاد من خلال مناقشة المفهوم والأفكار التي يستند إليها، والرد على الحجج والاعتراضات التي يتبجح بها الملحدون بأسلوب إقناعي.

تتنوع وتتعدد المواضيع في داخل الكتاب، لكنها تتفق في النهاية على إيضاح الفكرة الأساسية وصياغتها بشكل متماسك، وهي أن لهذا الكون إله حكيم يدبر أمره، وأن الحياة القصيرة ليست هي نهاية المطاف كما يدعي الملحدون.

---

[1] مركز تكوين للدراسات والأبحاث . لندن، الطبعة الأولى، 1440هـ /2018م.

[2] الدكتور سامي عامري باحث تونسي حاصل على دكتوراه في مقارنة الأديان ومؤلف عشرات الكتب في براهين النبوة وبراهين وجود الله ونقد الإلحاد، يتقن عدة لغات أجنبية واللغات القديمة كالسريانية والعبرية.

في البداية يُنبه المؤلف إلى أن موضوع إثبات الإيمان ومناقشة الإلحاد يكون عن طريق الإقناع، وأن أحسن تفسير يؤدي إلى الإقناع هو التفسير الشمولي الذي يشرح أكبر عدد ممكن من الظواهر والحقائق، وأن يكون هذا الشرح بصورة عميقة ومقنعة لا افتراضات ضعيفة وغير ضرورية، وأن يكون هذا التفسير بسيط ومنسجم ولا يتناقض مع حقائق ثابتة، كما ذكر المعوقات التي تمنع الوصول إلى موقف صحيح بشأن وجود الله ومنها: عدم المعرفة الصحيحة بالإسلام بأخذ المعلومات عنه من طريق التقاليد أو البيئة أو التعليم المشوه (ص 109). وأيضاً تفاوت الناس في تقبل الحق فبعضهم يقنع بالدليل المباشر وبعضهم يحصل الإيمان له نتيجة تراكم الأدلة، كما أن امتلاك الإنسان لأدوات المعرفة أو استعمالها لا يؤدي تلقائياً إلى الإيمان بالله؛ فالعلاقة ليست آلية بحيث إذا استخدمت أحد مصادر المعرفة كالعقل أو الحواس كانت النتيجة الحتمية هي الإيمان، فالوصول إلى الموقف الصحيح في أمر وجود الله ليس أثراً آلياً لتصديق آلات المعرفة، وإنما تحيط به مخاطر وأوهام كثيرة، فلا يوجد طريق واحد يجب أن يسلكه الجميع للوصول إلى الإيمان، وإن أدلة الحق متعددة بعضها يكمل الآخر، كما أنها تختلف باختلاف الأشخاص وخلفياتهم وقدراتهم المعرفية (ص107) .

وقد أورد الكتاب مجموعة من الأساليب المنافية للأمانة العلمية تستخدم في المناظرات أسماها " المغالطات الجدلية " لذلك يجب التنبه لها، منها: التلاعب بالألفاظ أو تشويه مذهب المخالف واضعاف حجته، أو الاحتجاج بمن هو ليس أهلاً للاحتجاج برأيه، ورمي الاتهامات على مذهب المخالف دون دليل، أو وضع المخالف بين خيارين فاسدين وإلزامه باختيار أحدهما رغم وجود خيار ثالث منطقي، ونقل عبء الإثبات على المخالف على خلاف الأصل الذي يقول بأن صاحب الدعوة هو المطالب بالبينة على دعواه، أو اشغال المخالف وتشتيت ذهنه بقضايا جانبية لإبعاده عن السؤال الأصلي وخداع السامعين، ومن ذلك أيضاً مهاجمة الشخص وذكر معلومات عنه ليس لها علاقة بموضوع المباحثة لإسقاط قيمته وقيمة ما يقوله (ص 143 ـ 146)، كما نقد المؤلف ظاهرة الإلحاد ابتداءً من التعريف الذي يقول أن الإلحاد هو " العلم بعدم وجود الله " وقد اعتبر الملحدين ذلك تهمة موجهة لهم من قبل المؤمنين، لذلك اعتمدوا التعريف الآتي لمذهبهم وهو: " رُجحان عدم وجود الله لضعف أدلة القائلين بوجوده "(ص 149).

كان الإلحاد أمراً شاذاً لم يصل إلى حال الظاهرة، ثم صار هو الموقف الطبيعي الذي لا يحتاج إلى دليل ولا برهان وصار المؤمن هو المطالب بمثل هذا الدليل، وقد رفض مؤلف الكتاب ذلك لأن الإلحاد موقف فكري يقوم على افتراضات وتفسيرات للوجود، ولذلك فهو يحتاج إلى تبرير وأدلة مثلما تحتاج أي رؤية فلسفية أخرى (فلا مجال له للتخلص من عبء اثبات مبادئه) وإن الادعاء بأن الإلحاد هو(النتيجة العلمية الوحيدة) ليس أمراً مفروغاً منه؛ لأن العلم يدرس الظواهر الطبيعية، بينما سؤال وجود الله سؤال فلسفي، فالإلحاد ليس عقيدة يفرضها العقل أو العلم بالضرورة، وإنما هو موقف فلسفي يحتاج هو أيضاً إلى أدلة وبراهين وتبريرات، وإلا فأن التفسير الإيماني للوجود أقوى وأكثر شمولاً من البديل الإلحادي وأكثر معقولية (ص113)، وما يثيره الإلحاد من صخب وضجيج للإيحاء بأنه ذو فكر متناسق وقوي غير حقيقي، فالواقع يثبت أن الإلحاد في الوقت الحاضر متخبط وغاضب وغبي حتى أن كثير من ضرباته ترتد إليه فتدميه هو، كما أن العاطفة مسيطرة عليه وهي من تسيره(ص 145).

اعتمد الكاتب على إثبات " وجود الله " عن طريق اثبات إمكانية المعرفة بالأدلة العقلية التي تؤدي إلى وجود الخالق، وقد قسم مصادر المعرفة إلى العقل ـ الحس ـ التجربة ـ العلم ـ (الوحي) أو الخبر الصادق وناقش كل واحد من هذه المصادر، وفي رده على من اعتبر العقل والحواس أصل كل معرفة بين أن العقل أسير هذا الكون وقوانينه، ولا يملك أن يبلغ حقائق الغيب، فلا سبيل للعقل إلى الأمور الغيبية غير التفكر فيها؛ لأنها السبيل لإدراك معنى الوجود وحقيقة الحياة، لكن يبقى (الوحي) أو الخبر الصادق هو السبيل الأوحد لمعرفة ما وراء حجب المادة (ص 71 ـ 87) . أيضاً بحث في الحواس وأهميتها في تحصيل المعارف لكن هذه الحواس

محدودة كماً وكيفاً فلا تكفي لتزويدنا بكل المعارف، وقد توصل إلى أن الحواس والتجربة لها دور في البحث عن الدين الحق لكن ذلك يكون عندما يتعلق البحث بقضايا محسوسة أو قابلة للتجربة (ص 91).

أيضاً بحث في العلم وعن حجيته في الشهادة للإيمان الديني، فبين أن مجال العلم الطبيعي هو المادة والطاقة في هذا الكون لذلك لا يستطيع العلم أن يبحث في وجود الله " لأن الإله مباين للعالم بمادته وطاقته، كما أن العلم يبحث في حقيقة تشكل العالم المادي وطريقة عمله، ولا يبحث في العلل الأولى والغايات النهائية " فالعلم لا يستطيع أن يقدم إجابة مباشرة في أمر وجود الله، ولكن حقائقه تنفع كمقدمات في برهان عقلي فلسفي، وقد شهدت الكشوفات العلمية في العقود الأخيرة بقوة للوجود الإلهي حتى قيل أن هذا العصر يشهد إحياءً عظيماً للاهوت الطبيعي وهذا يحدث بين علماء الطبيعة، ومثلما انتهى إلى محدودية العقل والحواس كذلك العلم له حدود في تفسيره ووصفه فهو أداة تعمل في الوجود المادي " (ص 93 - 96)، اما عن اعتبار القرآن كمصدر للمعرفة فيقول في ذلك: (...فالقرآن ليس خبراً معرفياً فقط وإنما هو كتاب يقدم أيضاً طرقاً للنظر، ومنهجاً للتفكير في طلب الحقيقة، فالشهادة به شهادة استدلال لا شهادة خبر، كما أن القرآن مصدر رئيسي لمعرفة حقيقة الإسلام لذلك لا يمنع من الاستدلال به واعتباره مصدراً للمعرفة)(ص 105). وقد وجه الكتاب عدة انتقادات للمعتقد الإلحادي لكشف زيفه وتبديد الهالة التي يحيط نفسه بها، من ذلك (ص 132- 139):

أولاً: الملحد مسلوب الإرادة: لأن الإنسان بنظر الملحد مادة وطاقة تتأثر بتفاعلات كيميائية، وأفكاره أثر آلي لنتائج محتومة، وإذا كان الإيمان بالإلحاد اختياراً قسرياً، امتنع وصف صاحبه بأي من أوصاف الفضائل المعرفية أو الأخلاقية، فليس فعله انحيازاً إلى الحق، وإنما هو استجابة آلية لتفاعلات كيميائية تلزمه بوجهة النظر التي يسميها (خيارات فكرية عاقلة)، أما الانتقاد الثاني الذي وجهه المؤلف للمعتقد الإلحادي هو: اعتناق الإلحاد للتهرب من العواقب، فما يدفع كثيرون إلى تبني المعتقد الإلحادي هو الرغبة في حياة ليس لها عواقب، ووجود بلا معايير وقيم؛ خوفاً من المحاسبة، فإلحاد البعض ناتج عن إصرار ودافع في أن يكون العالم بلا معنى، كما توصلت بعض الدراسات الغربية إلى أن أبرز الشخصيات المؤثرة في تاريخ الإلحاد قد تبنوا معتقدهم نتيجة لظروف حياتهم الشاقة ونشأتهم المؤلمة، وهذا أدى إلى كفرهم بمفهوم العدل في هذا الكون، ومن ثم كفرهم بالإله، كما أن الكثير منهم تركوا الإيمان بالله لأسباب عاطفية ونفسية، ووجه انتقاداً إلى أن أصحاب الإلحاد الجديد ـ الذين يملكون أعنف خطاب في مواجهة الدين ـ هم في الحقيقة سذج وضعاف في براهينهم وأدلتهم التي يطرحونها لنفي وجود إله، لذلك على الإنسان أن لا يتهيب من مواجهتهم بالأدلة التي تثبت وجود الله، فلا يخطر على بال أحد أنهم يطلبون من مخالفيهم براهين أقوى من البراهين التي يقدمها لهم المؤمنون، فأغلب طلبات رموز الإلحاد للإيمان بالله تكون مشابهة لما طلبه الكفار من معجزات مادية محسوسة، كما يُنظر إلى الملحد بأنه متردد مضطرب ومتحير في اتخاذ أي قرار أو موقف، وإن خطاب الثقة الذي يتبناه يتغير تبعاً لجمهوره ومستمعيه. وهذا تصديق لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [3].

ومن خصائص وسمات هذا " الإلحاد الجديد " الذي ظهر مع بداية القرن الحادي والعشرين: اعتماده على العلم الطبيعي في إقامة الحياة، واستغناءه بالعقل عن الإله لفهم العالم، والكره المبالغ فيه تجاه الأديان التي يعدونها مصدر للقتل والفوضى والدمار، فهم يرون التدين خطراً على المجتمع والأجيال القادمة، ويجب حماية الأطفال منه، وتمجيدهم الإلحاد ومحاربة التدين بكل صورة ممكنة ويعرف رموز هذا التيار بجهلهم بالمعارف والعلوم الدينية (ص 64 - 65).

حدد كذلك الشروط التي يجب توافرها في برهان الحق وهي وضوح العبارة، وصدق المقدمات، ومنطقية الاستدلال، وهذه الشروط هي ما يفتقده الخطاب الإلحادي الذي يتسم بإجمال العبارة وفساد المقدمات

[3] سورة طه: الآية 124.

والاستدلال غير المنطقي، وهذه من أهم المسائل التي يجب التنبه إليها في الحوار مع الملحد إذ تكشف زيف انتقادات ومغالطات الملحد التي يوجهها الى المؤمنين (ص 140). وقد قسم الكاتبُ الناس حسب موقفهم من الإيمان بالله إلى (ص 58 - 69):

أولاً: المؤمنين أو ما أسماهم بـ (الإلوهيين)، والإله عندهم مغاير للعالم ولا يتطابق معه، فهو يفارقه بصورة كلية، ويسمى هذا الإله في الكتابات الفلسفية والكلامية بـ " واجب الوجود ".

ثانياً: الملحدون وهم الذين ينكرون وجود الله، ومن أهم مفاهيم الإلحاد الأساسية أن الكون أو العالم مادة وطاقة تسير في حركة عمياء، وأن الكون أزلي (أو حادث بلا سبب عند قلة)، والأخلاق عندهم نسبية تتكون بناءً على أذواق الناس، وأن الحياة ليس لها غاية، والموت هو نهاية الإنسان فلا أخرة ولا حساب ولا جزاء.

وفرق المؤلف بين الإلحاد القوي وهو " الإيمان أن الله غير موجود " أي: أن الملحد يعلم أنه لا وجود لإله، وهذا القول لا يقول به أحد من الملحدين اليوم؛ لأن النفي المطلق متعذر هنا ضرورة، ويدفع بعض الملاحدة هذا الاتهام عنهم بأنه تشويه من قبل المؤمنين لحقيقة المعتقد الإلحادي، أما الإلحاد الضعيف فهو أن يرى الملحد أن المؤمن عاجز عن إقناعه بوجود الله، وهذا المذهب ما عليه كل رموز الإلحاد المعاصر الذين يرون أن الإلحاد أكثر معقولية من الإيمان بالله، وبين الكاتب أن ما جعل الإلحاد عقيدة لها اتباع ومؤسسات ومنابر هو وقوع المؤسسات التعليمية في الغرب تحت سلطانه مما هيأ الفرصة له لفرض رؤيته على الخطاب الإعلامي، فتسلط على منافذ التأثير، لذلك ازدهر في النصف الأول من القرن العشرين وبداية النصف الثاني، لكن هذا التأثير في الوسط العلمي بدأ بالتراجع لصالح ظهور خطاب يدعو إلى عودة الدين.

القسم الثالث: اللا أدرية: الذين يتوقفون عن القول بوجود الله أو عدمه فهم يعلقون الحكم في هذه المسألة بسبب عدم قدرتهم على الترجيح بين حجج الملحدين والمؤمنين، أو لاعتقادهم أن الإنسان غير مهيأ معرفياً للحكم في هذا الموضوع، ويختلف اللا أدريون عن الشكوكيين أن اللا أدرية ترتبط أساساً بموضوع وجود الله، أما الشكوكية فهي تشك في إمكان المعرفة البشرية بصورة كلية وليس فقط العلم بوجود الله، واللا أدريون ليسوا على الحياد المعرفي التام، وإنما يميلون إلى جهة الشك في وجود الإله فهم ملاحدة أو لا دينيون.

رابعاً: الشيئية: وهم الذين لا يؤمنون بإله ولكنهم يؤمنون بشيء خفي غير مادي، أو قوة عظيمة غامضة، ولا يجهدون أنفسهم في البحث عن معنى للحياة، فهم كسالى في طلب الحقيقة والمعرفة اللازمة لذلك.

خامساً: اللا اكتراثية: هم الذين لا يشغلون أنفسهم بقضية وجود الله، يعيشون الحياة الآنية على أي وجه كان غير عابئين بقضية الإيمان.

من الشبهات التي يتكئ عليها الملاحدة لإنكار وجود الله هي مشكلة الشر، وكيفية الجمع بين كمال علم الله وقدرته وخيريته من جهة ووجود الشر في العالم من جهة أخرى، والاعتراض الآخر على الإيمان عند الملاحدة هو الأثر المدمر للدين وإفساده لحياة البشر بإثارة الحروب، ورد الكتاب هذه الشبهات بأنه لا تعلق لها بالوجود الإلهي (ص 122)، ومن أبرز الاعتراضات أن يقال: إن التوجه إلى السماء شعور بدائي لا يستحق ممن يعظم العقل أن يوليه أي اهتمام أو انتباه، وجواب ذلك أن عامة أمم الأرض تؤمن بإله لأنها استسلمت لداعي النفس في طلب العون والمعنى والغاية، واستسلمت لثقتها في قدرة العقل على بلوغ الحقيقة وقدرة الحس الأخلاقي على التمييز بين الخير والشر، وتطرق الكاتب إلى حجة الاتفاق العالمي على وجود الله اعتماداً على الذكاء الإنساني فقد تخطئ آلة التفكير في الإنسان لظروف وأسباب عرضية لكن بالمجمل إذا اتفق البشر في مجموعهم على عد نتيجة ما يقينية فأنه من المحال أن تكون تلك النتيجة غير صحيحة إلا إذا كان هناك عيباً في الملكة نفسها (ص 191- 192)، كما رد الكاتب على اعتراض أن التدين ظاهرة سببها الخوف من الطبيعة، فالإيمان هنا عامل نفسي يحتاج إلى مساعدة من سلطان قوي لمواجهة الطبيعة الثائرة،

ويذكر الكاتب أن هذا التفسير كان شائعاً في الغرب خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وقد قل حضور هذا التفسير في التحليل الإلحادي للإيمان، وللرد على ذلك فإن شعور الإنسان بالضعف لا يبطل وجود الله إنما هو تفسير للحالة الإيمانية، وهذا التفسير أصبح غير مقبول حتى من قبل الملحد نفسه لأنه يعني أن وجود الله يقتضي أن يقترن بوجود إنسان لا يخاف من ظواهر الطبيعة الحادة ..ولا تلازم بين الأمرين (ص 208 - 209)، ومن الاعتراضات أيضاً قول الملحد إن الإيمان الديني يعكس المرحلة الطفولية للعقل البشري حيث يقبل المؤمن كل شيء غيبي دون برهان؛ لأنه أثر عن ميل عاطفي يكتم أنفاس الفكر(ص 113).

وتطرق الكاتب أيضاً إلى المذهب الماركسي الذي يرى أن الدين تابع للاقتصاد يستخدمه المثقفون لتخدير الشعوب والطبقات المنهوبة بأماني الجنة، ورد على ذلك بفشل الأنظمة الشيوعية في القضاء على الظاهرة الدينية رغم محاولاتها استئصال الدين من خلال التعليم والاعلام، والصحوة الواسعة للكنيسة الأرثوذكسية في روسيا بعد سقوط النظام الشيوعي برهان عملي على أن الحالة الدينية ترفض الاختزال في العامل الاقتصادي، كما أن الإنسان لم يُعرف إلاَّ وهو متدين قبل التطور وظهور أثر العامل الاقتصادي في الحياة، وقد وصفت هذه النظرية بأنها قاصرة وأسيرة لمشكلات عصرها وهو ما أدى إلى اندثارها(ص 216-217)، إلى غير ذلك من الاعتراضات والنظريات التي تجاوزها الملحدون أنفسهم، إلاَّ أنه أثقل هذا الكتاب بذكرها.

تنوعت البراهين التي استخدمها المؤلف لإثبات وجود الإله إلى حضورية ذاتية تنبع من داخل النفس كالفطرة والعقل والغريزة والأخلاق والجمال، والبراهين الحصولية الموضوعية التي يحصل عليها الإنسان من خارج النفس مثل برهان الوجود والغاية والضبط الدقيق وبرهان الخلق، وفيما يلي نبذة مختصرة جداً عن بعض البراهين.

- برهان الفطرة:

الانجذاب القسري إلى الإيمان بإله حالة شعورية لا يملك الإنسان دفعها عن نفسه؛ لأنه يحمل ميلاً طبيعياً للإيمان بالله وتوحيده، واذا لم يوجد مانع خارجي يمنع الإنسان من الإيمان فسيتجه ضرورة إلى توحيد الله؛ لأنه إحساس أصيل في النفس، يختل اتزان كل من يفقده، وهذا الإيمان يمنح الحياة القصيرة الغاية والمعنى والقيمة عندما تتصل بالحياة الأخرة (ص173 - 176)، وهو شعور يحقق السعادة والسكينة للنفس والقلب، وقد اعترفت عامة الدراسات النفسية اليوم أن الإيمان بخالق مغروس في البنية العصبية والذهنية للإنسان، ولكن بسبب هيمنة النفوذ الإلحادي على أبحاث علم النفس المعاصرة والانطلاق من مسلمة أن الأديان اختلاق بشري وصناعة ثقافية، تضطر هذه الدراسات إلى تفسير النزوع الديني تفسيراً مادياً منكرة صدقه الموضوعي، وقد ظهرت دراسات تثبت أنه حتى الأشخاص الذين يدَّعون أنهم ملحدون يلتزمون بصورة ضمنية بمعتقدات دينية، فالإيمان بالله حاجة وضرورة عملية للتصالح مع النفس، وهو حقيقة هيمنت على كل الأمم السابقة ولم يتحول إنكاره إلى ظاهرة إلاَّ منذ زمن قصير بفعل السلطان السياسي الذي فرض أنماطاً تعليمية تضخ ثقافة إلحادية أو شبه إلحادية في المجتمع، ففي النفس حاجة أصيلة إلى العلم والإحساس بوجود الله إذ إن فقدان الحضور الإلهي سبب لأن تفقد الحياة معناها، عندئذ يصبح الانتحار هو الجواب الوحيد للسؤال الوجودي الأكبر عن معنى الحياة، ولذلك قال أحد رموز الإلحاد: " إذا لم يكن الله موجوداً فعلينا اختراعه "، وقد شهدت الدراسات الغربية في سنة 2004م أن العقيدة الإلحادية عامل محفز للانتحار وبدون حرج أخلاقي؛ لأن الحياة عند الملحد أقل قيمة، والموت انتقال من عدم إلى عدم، فالإلحاد مرض يصيب القلب، والإيمان بالله يرد الإنسان إلى حالة المعافاة الأولى (ص 124، 194 - 195)، ويعيد للإنسان استوائه واستقراره النفسي، وقد يعترض بعض الملحدين على ذلك بالقول: ولماذا علينا أن نعتقد أن الاستواء النفسي أمر لازم، ولماذا نفترض أنه موافق للحقيقة؟ وجواب ذلك إن الإنسان في فكره ملزم أن يبدأ بتصديق عقله وحواسه وفطرته رغم أنه لا يملك البرهنة على صدقها، ولو أنه أراد أن يبرهن على صدقها فسيقع في الدور والتسلسل؛ إذ يستدل بها

لنفسها وسيظل يدور في هذه الدائرة، والإنسان أسير التسليم أن عافية القلب والروح ضرورة وأنها تطابق المطلوب في هذه الحياة، وإنكار ذلك يدخل المرء في عدمية تنتهي به إلى أن ينكر تميزه عن دواب الأرض، وهو ما تنكره كل نفس في لحظة الصفو والصدق، فالتسليم بالاستواء الأخلاقي وأهميته ضرورة لإثبات إنسانية الإنسان، والذين ينكرون الإله والغاية لم يفلحوا ـ باعترافهم ـ في انتزاع جذور هذا الحس والرغبة من قلوبهم، وعندهم ميل قهري يظهر كلما عادوا إلى أنفسهم عند لحظات الهدوء والتخلص من أثقال الحياة (ص196 ـ 197)، فالإيمان حقيقة نفسية راسخة في البشر مهما اختلفت أجناسهم وتباعدت ديارهم (ص 190)، والإنسان لو ترك لنفسه دون تدخل من ثقافة خارجية فسيتجه إلى السماء يبحث عن قوة وسلطة عليا تفسر الوجود(ص219) (للاطلاع على أقوال رموز الملاحدة في ذلك ينظر ص 199 ـ 207).

البرهان الأخلاقي:

في داخل كل نفس شعور لا يمكن إنكاره أو دفعه: أن الخير يجب أن يكافأ والعدل يجب أن يحكم والشر يجب أن يعاقب، ولا معنى لهذه المفاهيم والقيم الأخلاقية في الحياة التي يراها الملحد، فالبرهان الأخلاقي هو الاستدلال بوجود قيم أخلاقية تستقبح أموراً، وتزكي أخرى لا بناءً على الذوق الشخصي أو العرف الاجتماعي وإنما بناءً على وجود معيار غير مادي، وإذا لم يكن الله موجوداً لا يوجد معيار أخلاقي للتمييز بين الخير والشر، والحق والباطل، والكون يصبح مجرد ركام من مادة وطاقة بلا قيمة ذاتية (ص221)، وهذه المادية الصرفة لا تعترف بالخير والشر والحق والباطل(ص 228)، فلن ترى في الخير فضيلة حتى تدرك أن للوجود قيمة (ص 231)، وقد ميز الكاتب بين الأخلاق الموضوعية والأخلاق الذاتية، فالأخلاق الموضوعية تشير إلى أن القيم الأخلاقية قائمة من خارج النفس ثابتة الوجود بعيداً عن الحس أو الذوق أو أعراف المجتمع، وأعظم ما في الأخلاق الموضوعية غير الذاتية طابعها الإلزامي الذي يجده المرء في نفسه ولا يملك منه فكاكاً، ولذلك يقر بها الإنسان وإن عارضت رغباته(ص 227)، وقد كشفت حقيقة موضوعية الأخلاق أزمة العقل الإلحادي أو المجتمع الغربي ـ عامة ـ الذي يقول بالشيء ويعمل بضده (ص 237)، فالملحد بإمكانه أن يعمل صالحاً لكن ليس بإمكانه أن يكون صالحاً لأن إلحاده لا يعرف قيمة الصلاح إلاَّ إذا انسلخ من ماديته إلى منظومة إيمانية تؤمن بالخير والشر وتقيم أمرها على مفهوم تميز الإنسان وتكريمه وهذا تناقض، فالملحد ـ ضمن تصوره الكوني المادي ـ لا يمكنه أن يكون طيباً ولا أن يكون شريراً؛ لانعدام مفهوم الخير والشر في تصوره الكوني، فإننا لن نعرف الصلاح حتى نحتكم إلى قواعد موضوعية خارج أذواقنا ووجداننا، وانتهى الكاتب إلى القول في البرهان الأخلاقي أن الناس بحاجة إلى وجود الله لتكون هناك أخلاق موضوعية يحتكم إليها الجميع؛ فالإله هو من قنن القانون الأخلاقي بصورة متعالية على البشر ليكون واحداً وملزماً لهم جميعاً، فوجود الله ضرورة لأن توجد أخلاق متعالية ملزمة للإنسان دون أن تكون نابعة من ذاته (ص 253- 255)، ووجود الأخلاق الموضوعية يقتضي ضرورة وجود الله باعتراف رموز الإلحاد، فإذا كان الكون مجرد مادة وطاقة وحركة عمياء بلا غاية أو هدف أو مصدر يتجاوز الطبيعة فمن الصعب تبرير وجود إلزام أخلاقي موضوعي؛ إذ تصبح الأحكام الأخلاقية مجرد تفضيلات أو اتفاقات اجتماعية قابلة للتغيير، لذلك يستنتج أن الأخلاق الموضوعية تعد قرينة على وجود الله بوصفه مصدر القيم والواجبات الأخلاقية(ص 266).

برهان العقل:

يستخدم المؤلف برهان العقل لإثبات وجود الله، فقدرة الإنسان على التفكير المجرد، والاستدلال المنطقي وإدراك الحقائق الرياضية تدل على أن هذا العقل من صنع إله حكيم ومقتدر، وليس نتيجة عمليات مادية عمياء بلا غاية، فإذا كان العقل مجرد نتيجة تفاعلات كيمائية لا علاقة لها بالحقيقة فإن الثقة في جميع الاستدلالات تصبح موضع شك بما فيها الاستدلال على الالحاد نفسه، لذلك العقل شرط لكل معرفة، وقدرة العقل على اكتشاف قوانين الكون يدل على أن العقل والكون صادران عن مصدر واحد، لذلك يستطيع العقل فهم الكون.

برهان الغريزة:

تمتلك الكائنات الحية قدرات على التفاعل والتعاطي الحكيم والمعقد مع الواقع دون أن تكون قد اكتسبت ذلك عن تجربة أو وراثة، فلا تفسير لهذا الشيء غير الإلهام (ص 297)، وقد استبعد الكاتب من خلال ضرب الأمثلة أن تكون هذه الغرائز نشأت نتيجة التطور أو الوراثة (ص 317).

برهان الإمكان:

يقوم هذا الدليل على أن أي شيء مادي موجود فهو يقتضي وجود سبب لوجوده من خارج الوجود المادي، وتكمن قوة هذا البرهان في أنه مستغن عن النظر في تفاصيل الكون وثقافة العصر وتطور العلم؛ إذ يقوم على حقائق عقلية ثابتة وهي أن العقل قادر على تصور قيام الكون على صورة أخرى غير صورته الحالية دون لزوم محالات من ذلك، بعبارة أخرى هي أن هذا الكون ممكن من الممكنات وأنه محتاج إلى من يمنحه حق الوجود (ص326 - 331).

دليل النظام أو انتظام الكون:

النظام هو سبب فهم العالم واكتشاف قوانينه، وتسخيرها لخدمة الإنسان، والثقة في مألات الأفعال، فالنظام مظهر للحكمة، والحكمة صفة حكيم والمادة صماء لا تفكر، فوجب أن تكون الحكمة التي أوجدت نظام الكون غير نابعة من المادة بل من جهة متعالية، ولولا هذا النظام لما كان الإنسان عاقلاً، فلا عقل بلا قدرة على الفهم والتوقع، والكون منظم لأنه يعمل ضمن قوانين (ص355 - 356). يشهد لذلك قول الله تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [4].

دليل الخلق / برهان الحدوث:

على الرغم من القول بأزلية العالم عند الملحدين جاء البرهان العلمي لينفي هذه المقولة ويعضد دليل الحدوث، ومن البراهين العلمية الحديثة على خلق الكون من العدم (القانون الثاني للديناميكا الحرارية) وهذا القانون يرتبط بالطاقة والفوضى والمعلومات، ففي هذا القانون الوجود يتحرك من النظام إلى الفوضى، والكون له عمر محدود، وهو يتجه من الحرارة والنظام إلى البرودة والفوضى التامة، وهذا يدل على أن الكون لم يوجد منذ الأبد، ومن الأدلة الأخرى تمدد الكون، فالكون ليس مستقراً وإنما يتمدد وهذا التمدد بدأ في انفجار كبير جداً وكثيف منذ قرابة 13,72 بليون سنة، وقد أجمع الفيزيائيون الملاحدة اليوم أن لكوننا بداية بعد الكشف عن تمدد الكون، وقد انتقض إجماع علماء الغرب منذ عقود مضت على أزلية الكون بعد تكاثر الأدلة العلمية على حقيقة أن الكون مخلوق، يقوم دليل الخلق على أن الكون حادث وكل حادث ـ أي : موجود بعد عدم ـ لابد له من سبب وهذا السبب يكون خارج الكون، ولإثبات حقيقة عمر الكون هل هو أزلي بلا بداية أم مخلوق خلقه خالق فقد اتجه الكاتب للحقائق العلمية لإثبات ذلك، فمنذ ستينيات القرن الماضي أصبح واضحاً أن الكون له بداية وهو ما عرف بالانفجار العظيم، وكان الاعتقاد السائد قبل القرن العشرين ان الكون ثابت وأن الأجرام السماوية كانت كما هي عليه الآن وستبقى كذلك ثم اكتشف بعد ذلك أن الكون في توسع وتمدد (ص 374، 387 - 392).

البرهان العلمي:

الكشوف العلمية تعبر عن دقة قوانين الطبيعة وعظمتها وهذا يتنافى مع التصور الإلحادي لعشوائية الوجود (ص 210)، فلا تعارض بين العلم والدين لأن الاكتشاف العلمي هو اكتشاف ديني أيضاً فالعلم بالسنن

[4]) سورة النمل: جزء من الآية 88.

الكونية من أعظم الأدلة على كمال قدرة الله وعلمه ورحمته، ولا أحد يستطيع اليوم أن ينكر أن العلم أصبح أعظم نصير للإيمان بالله حتى الملاحدة أنفسهم، وبالتالي فإن وضع الملحد للمخالف بين خيارين إما الله أو القوانين الطبيعية هو خيار فاسد لأنه لا تعارض بين وجود الله ووجود القوانين؛ فالعلم الطبيعي بحاجة إلى الإقرار بوجود الله لتفسير وجود العلم التفسيري للطبيعة، أي لماذا يملك العلم القدرة على التفسير(ص 152-153). يقف البرهان العلمي اليوم في جانب النافين لأزلية الكون فنظرية الانفجار العظيم في نظر الكاتب هي أفضل ما يفسر ظاهرة توسع الكون وحرارته الأولى الفائقة ثم المتبردة، وقد أجمع العلماء على صحة هذه النظرية وصارت البرامج العلمية للكشف عن الكون تنطلق من التسليم بها كما هي برامج (ناسا) وغيرها من وكالات الفضاء، وعلى الرغم من وجود تفسيرات مختلفة للانفجار العظيم غير أنها تتفق على أن لهذا الكون بداية وأنه بدأ في التوسع منذ ذلك الحين وأنه في حال تبرد تدريجي منذ بدايته الأولى الحارة، وقد حاول الملاحدة انكار ذلك، غير انه في سنة 1964م تم الكشف عن" إشعاع الخلفية الكونية الميكروي" الذي يمثل الآثار الأولى للانفجار الأول والذي توقع العلماء وجوده قبل كشفه، وقد أقنع هذا كل من شكك في صدق هذه النظرية وكانت القياسات الدقيقة لـ "إشعاع الخلفية الكونية الميكروي" كما قدمها (مسبار كوبي الفضائي) لوكالة الفضاء الأميركية (ناسا) في بداية التسعينيات من القرن العشرين أكبر داعم لكشف الستينيات، ثم استسلم الملاحدة لهذه النظرية بعد محاربتها فترة طويلة(ص 397- 399)، بسبب أثرها الكبير على المعتقد المادي الإلحادي الذي يقول بأزلية الكون المادي، إلى درجة أن لا أحد من الملاحدة اليوم يجزم بأزلية الكون (ص 439)، وقد خلص الكاتب إلى أن كل المعارف العلمية المتاحة ترى أن الكون ناشئ بعد عدم.

برهان الغاية:

أو برهان المعنى ـ أي البحث عن معنى لهذا الوجود والاَّ لكان العبث ـ يرى أن الوجود المادي متحرك نحو غاية أو هدف أو قيمة ولا يتحرك بعبث أو عشوائية (ص 486)، وإذا لم يكن الله موجوداً فلا معنى لشيء في الوجود مادياً كان أم غير ذلك؛ لأن الكون ليس إلاَّ مادة وطاقة في حركة أزلية عشوائية عابثة (ص 346)، والنظام في الكون يشهد بخلاف ذلك فالعشوائية لا تنسجم مع مظاهر النظام الظاهرة في الكون (ص 367).

برهان الضبط الدقيق:

وهو برهان يستبعد المصادفة في خلق الكون؛ لأن كل شيء في الكون مقدر بطريقة محددة لا تسمح لاحتمال الصدفة، فالمقادير والقوانين لو تغيرت قليلاً سينهار الكون أو تفسد الحياة (ص 499). وقد اعترف عامة الفيزيائيين الملاحدة إن وجود أي نوع من الحياة في هذا الكوكب رهين وجود قوانين دقيقة وضبط حاد جداً للثوابت الكونية، كما أن الظروف الأولى للكون كانت مهددة بصورة بالغة أن تنتهي إلى دمار شامل وفوضى عارمة في غياب الضبط الدقيق لتلك البداية (ص 408). يقول الله تعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [5].

المطلب الثاني: كتاب " براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم " دراسة تحليلية ونقدية

في كتاب " براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم " اعتمد الدكتور سامي عامري على عدد كبير من الأدلة والبراهين للاستدلال على وجود الله، جمع فيها بين العقيدة والفلسفة والعلم، وكذلك استشهد بالدراسات النفسية ونظريات العلم الحديثة في الفيزياء والكيمياء والأحياء وبغير ذلك من العلوم مما له علاقة بوجود الله.

[5]) سورة الفرقان: الآية 2.

وقد انطلق الكاتب في بناء براهينه وأدلته الإقناعية من داخل النفس ثم انطلق إلى الكون وما فيه من آيات مبثوثة في كل أنحائه لإثبات وجود الخالق، يقول الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [6]، فاستدل على وجود الإله من الحاجة والميل النفسي والنزوع الفطري نحو التوجه إلى شيء قوي خارج حدود الطبيعة، أو من خلال التفكر في سبب توجه كل مخلوق إلى ما يصلحه ويقيم حياته، فهذا يمكن أن يحفز الإنسان على الإيمان بالخالق، يقول الله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [7]، وكذلك عن طريق القيم الأخلاقية الملزمة للناس بعيداً عن العرف أو المصلحة أو الذوق الشخصي، فالأخلاق من الخير الذي فطر الله عباده عليه وهذه الأخلاق تقتضي أن يثاب المحسن على إحسانه ويعاقب المسيء على إساءته وهذا يتأتى في حياة أخرى، ولا يكون ذلك إلاَّ إذا كان هنالك إله عليم عادل حكيم يعلم ما يعمل الناس الآن ليجازيهم عليه غداً [8]، يقول أبن رشد: (إننا ندرك بحواسنا وعقولنا أن هناك أشياء حسنة وأخرى قبيحة، وأن الحسن أو القبح فيها لذاتها، فليس الحسن والقبح إذن أمرين اعتباريين بل هما حقيقيان) [9]، ثم أن كل متأمل للمخلوقات يرى أنها ليست تجمعاً عشوائياً من الموجودات بل هي مرتبة ومصممة بشكل دقيق يدل على أن لها صانعاً عالماً حكيماً [10]، هذا الخلق المحكم الذي يحقق غايات محددة لا يمكن أن يصدر إلاَّ عن علم وتدبير وحكمة، وهو ما انتهى بالملاحدة للبحث عن قيمة وهدف للحياة بقولهم: " يجب صناعة معنى للحياة رغم أنها بلا معنى أصيل [11]، كما أن وجود الكون على الوضع الذي هو عليه مناسب لوجود الإنسان والحيوان والنبات وهذا يبرهن على أن عناية الله تحيط بمخلوقاته، أما دليل الاختراع أو الخلق فيدل عليه وجود الحيوان والنبات وكل أجزاء العالم، وكل شيء في الكون مسخر لتحقيق غايات معينة لابد أن يكون مخلوقاً، ويدل على وجود الخالق. كما أن برهان المتناهي واللا متناهي ودليل السببية ليسا جديدين، ويتلخص دليل السببية عند الماتريدي في أن العالم لا يستطيع أن يوجد نفسه أو يصلح ما فسد منه، إذن يحتاج إلى موجد يوجده، أما " دليل التغير" فيتلخص بأن العالم لو كان يوجد بنفسه لوجب أن يبقى على حالة واحدة لا يتغير عنها لذلك من الضروري أذن أن يوجد سبب للتغير [12]، وهذه الأدلة والبراهين العقلية والفلسفية المستخدمة في الكتاب لها تاريخ طويل في الفلسفة وعلم الكلام، فهي ليست جديدة وإنما أشبعت بالبحث والدراسة، لكن في هذا الكتاب تم تجميعها وأعيد صياغتها وعرضها بأسلوب يتناسب مع لغة العصر، مع ذكر حجج الملحدين ومناقشة اعتراضاتهم عليها.

وبعض هذه الأدلة والبراهين ليست محل اتفاق بين جميع الفلاسفة والمتكلمين المسلمين، إذ وجهت انتقادات كثيرة لبعضها، مثلاً برهان الفطرة يقتضي فطرة سليمة لمعرفة الله، يشهد لذلك قول ابن تيمية: " العلوم الفطرية الضرورية حاصلة مع صحة الفطرة وسلامتها، وقد يُعرض للفطرة ما يفسدها ويمرضها فترى

---

[6]) سورة فصلت: الآية 53.

[7]) سورة طه: الآية 50.

[8]) الفيزياء ووجود الخالق، جعفر شيخ إدريس، مجلة البيان . الرياض، الطبعة الأولى، 1422هـ . 2001م، ص 91.

[9]) مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد، تقديم وتحقيق محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية- مصر . الطبعة الثانية، 1964م، ص 102.

[10]) الفيزياء ووجود الخالق، ص 45 . 55.

[11]) براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، سامي عامري، مركز تكوين للدراسات والأبحاث . لندن، الطبعة الأولى، 1440هـ /2018م. ص 42.

[12]) مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد، ص 22. 26.

الحق باطلاً " [13]، أما برهان الإمكان والوجوب فقد كان له أثر كبير في الفكر الفلسفي والكلامي عند المسلمين، وكذلك في الفلسفة الغربية وقد تعرض هذا البرهان للكثير من النقد والتعديل [14]؛ لأنه يثير الشُبه؛ فلو كان العالم ممكن وحادث وأنه يحتاج إلى موجد يوجده فهل يحدث العالم عن إرادة قديمة أم إرادة حادثة، وهذا جدل غير مجد وإبطال لقوة الإيمان في النفوس، وسبب ذلك كله أن المتكلمين يتكلمون عن الإرادة والإيجاد والخلق بمعانيها الإنسانية، فيظنون أن الخلق الإلهي يحتاج إلى زمن ومادة وأن الإرادة الإلهية يمكن أن تتردد بين خيارين جائزين كما هي الحال في الإرادة الإنسانية، وهي أدلة جدلية تنطوي على مماثلة بين العالم الإلهي والعالم الإنساني، ولو أنهم ركنوا على أدلة القرآن لكان أنفع، فأثاروا مشاكل مزعومة لا يجدها من تتبع أدلة الشرع، فالقرآن لا يتكلم عن إرادة حادثة أو قديمة ويكتفي بأن يقول أن الله يوجد الأشياء بإرادته، وأيضاً فكرة الحدوث أو القدم مترتبة على فكرة الزمن، والزمن نفسه فكرة إنسانية لا سبيل إلى تطبيقها على الإرادة الإلهية [15].

ومن وجهة نظر إسلامية فالكون المخلوق أكبر بكثير من هذا الكون المشاهد فهنالك السماء، والملائكة وهي مخلوقات عظيمة الخلق، وهنالك عرش الله تعالى وكرسيه، وهناك القلم واللوح المحفوظ، وهكذا فالكون المخلوق أعظم بكثير من الكون المشهود وزمانه سابق لزمان هذا الكون [16].

وفي هذا الكتاب تم مناقشة الاعتراضات والحجج التي يتعلل بها الملحدون: ومن حججهم أنه ينبغي أن يكون الاعتماد في معرفة الحقائق على العلم الطبيعي لا الدين، وبذلك وضعوا الدين في مقابل العلم الطبيعي، وسوغ لهم ذلك مزاياه وثماره التي حققها للإنسانية، واستغنائهم عن التفسير الديني للظواهر الطبيعية التي كانوا يخشونها كالبراكين والزلازل وغيرها بسبب تقدم العلم وكشفه للقوانين المادية التي تحكم هذه الظواهر، وهذه الحجة تصلح لو أن الدين والعلم الطبيعي كانا أمرين متناقضين لا يمكن الجمع بينهما، أو أن العلم يقدم إجابات عن مصير الإنسان بعد الموت، وهذا لا يحدث فالعلم وسيلة للمعرفة لكن ليس كل المعارف [17].

من شروط صحة الإلحاد أن يكون الكون المادي أزلياً، والمادة الأزلية لا تستحدث ولا تفنى، وهذا قول باطل فكل مادة في صورة من الصور تحدث وتزول، وأما المادة التي لا صورة لها فإنما هي كما قال أحد رموز الإلحاد " وهمٌ " في أذهان الفلاسفة لا وجود له في الخارج [18]، وقد جاء العلم يقوض ويضعف الأسس التي يقوم عليها الإلحاد وهو الزعم أن المادة أزلية لا بداية لها، أبدية لا فناء لها، ومن ذلك نظرية الانفجار العظيم التي تتلخص بأنه قبل 15 بليون سنة تقريباً كان حجم مادة الكون قريباً من الصفر ثم انفجرت هذه المادة وتبددت في صورة إشعاع، تكون منه بالتدريج بعد برودته هذا الكون، مع وجود اعتراض على كلمة الانفجار لوصف نشأة الكون؛ لأن الانفجار في العادة يكون مدمراً أما الانفجار العظيم فقد أدى إلى تَكَونْ المادة ومنها تكونت المجرات ثم النجوم ثم الأفلاك بما فيها أرضنا التي نشأت فيها الحياة، وهذه النظرية أبطلت حجة الملاحدة بأزلية الكون لأنها تقتضي أن هذا الكون بما في ذلك الزمان والمكان له بداية أيضاً، وكذلك من مزايا

---

[13]) درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، 1411هـ . 1991م، 306/3.

[14]) برهان الإمكان والوجوب عند الفارابي وأثره في الفكر الفلسفي، أحمد شوقي إبراهيم علي عبد الله، د. ط، د. ت، ص 94 . 95

[15]) مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد، ص 17 . 18.

[16]) الفيزياء ووجود الخالق، ص 88.

[17]) المصدر نفسه، ص 29.

[18]) المصدر نفسه، ص 37.

نظرية الانفجار العظيم أنها تنفي المصادفة عن نشأة الكون، والانفجار العظيم يقتضي أيضاً أن تلك الكمية العظيمة من الطاقة التي انبثقت إثر ذلك الانفجار لم تجد الوقت الكافي لتتفاعل وتتحول كيف شاءت حتى يتكون منها هذا الكون بمحض المصادفة بل كان عليها أن تتحرك منذ البداية بطريقة معينة وبسرعة محسوبة حتى يتكون منها المخلوقات جميعها، ولو كان معدل التمدد بعد ثانية واحدة من الانفجار العظيم كان أقل ولو بجزء واحد من مائة الف مليون مليون جزء لعاد الكون لانقباضه قبل أن يصل إلى حجمه الحالي [19].

تحدث الكتاب كذلك مطولاً عن نظرية التطور: التي تزعم أن الكائنات ارتقت وتطورت عن كائنات أدنى منها عن طريق الانتخاب الطبيعي (البقاء للأصلح) وهذه النظرية قد فندها علم الحفريات وعلم الأجنة وقد انتشرت هذه النظرية كسلاح استخدمه علماء الطبيعة ضد الدين النصراني المحرف الذي وقف بوجه العلم في ذلك الوقت، وفُرضت هذه النظرية في المناهج الدراسية للدول التي تم استعمارها من قبل اوروبا وكانت سبباً في زعزعة الإيمان في قلوب الكثير من أبناء المسلمين، ثم بعد أن انتصر العلم الطبيعي على الدين النصراني المحرف عادت أوروبا لتنفي العلمية عن هذه النظرية، وقد خصص الكاتب مجالاً واسعاً للحديث عنها [20].

أما مسألة خلق الشر والخير فهي كذلك من المسائل المعروفة التي اختلفت آراء المتكلمين حولها، وكان لابن رشد رأي فيها فقال: بأن الله يخلق الشر كما يخلق الخير ولكنه لا يريد الشر لذاته وإنما في أصل ما يترتب عليه من خير هو صلاح العالم [21]، ورداً على اعتراضهم بأن المعتقدات الدينية هي التي أدت إلى الحروب والصراعات والدمار والفساد، فهل توقف ذلك بعد أن حلت العلمانية في الغرب محل الدول الدينية؟ كلا، فالتدمير والافساد الذي حدث بسبب الحربين العالميتين لم يكن له مثيل في تاريخ البشرية كلها [22].

إن الأدلة التي تستخدم في إثبات وجود الله يجب أن تكون واضحة وغير معقدة وخالية من تشعب المتكلمين وتقسيماتهم العقلية، كما ينبغي أن لا تثير الشبهات ولا تنتج الإشكالات، فلا تنمي قدرة الجدل على حساب تحصيل المعارف الجديدة، وأن تكون أدلة العقل والشرع متطابقة فالحقيقة واحدة وبذا تتجه هذه الأدلة في يسر وسهولة إلى الناس جميعاً عامة وخاصة [23]، لكن نلاحظ في هذا الكتاب أنه تم عرض عدد كبير من القضايا والاعتراضات والردود والانتقادات والاستشهادات مما قد يؤدي إلى الشعور بالتشعب والتشتت وضعف التركيز لدى بعض القراء، كما أن بعض هذه البراهين ليست موجهة للإنسان العادي وإنما تحتاج علماء ومفكرين لفهمها، وقد صرح الكاتب بذلك فقال أنه وجه خطابه في هذا الكتاب إلى طبقة المثقفين الصبورين على القراءة والجادين في تتبع أدلة النظر والجدل من ذوي الحماسة، وهم الطبقة الوسط بين العامة وبين المتخصصين.

الخاتمة

قضية الاستدلال على وجود الله قضية قديمة في الفكر الإسلامي لكن ما يميز هذا الكتاب هو استخدام منهج جديد ولغة فلسفية حديثة بربط البراهين القديمة بالعلوم الحديثة، وسرد اعتراضات الملحدين ومناقشتها والرد عليها وبيان أوجه القصور فيها، ويعتبر محاولة لتجديد علم الكلام بلغة معاصرة يفهمها الإنسان الحديث،

[19]) الفيزياء ووجود الخالق، ص 88، 92.

[20]) توحيد الخالق، عبد المجيد الزنداني، د. ط، د. ت، ص 269، ص 278.

[21]) مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد، ص 102.

[22]) الفيزياء ووجود الخالق، ص 28.

[23]) مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد، ص 24، 27.

فالكتاب يجمع بين العقيدة والفلسفة والعلم، وقد نبه الكاتب في أول الكتاب على أن ايمانه بالله ليس بسبب الوراثة أو التقاليد فهو لم يعش في بيئة تتعصب للإسلام بل نشأ في بيئة بعيدة عن الإسلام بسبب الإرهاب الذي مارسه ذيول الاستعمار الغربي وأبدعوا فيه إلى درجة أن الاستعمار الفرنسي ما كان يطمع بتحقيق القليل مما حققه ذيوله من حرب على الإسلام، فإيمان الكاتب جاء نتيجة بحث ودراسة.

ومن أبرز النتائج التي نستطيع استخلاصها من القراءة في هذا الكتاب هي:

ـ الكشف عن تناقض النظريات الإلحادية وإفراغها من محتواها يضع الإلحاد في موقف الدفاع والحاجة إلى التبرير، وهو ليس معفياً من النقد؛ فالإلحاد موقف يتعلق بعدم الإيمان بوجود الله وليس عقيدة ذات مبادئ واضحة وأسس ثابتة وهذا سبب اختلاف الملاحدة في الفلسفة والأفكار.

ـ لا يوجد ملحد صرف، فالإيمان أصيل في النفس ـ أي نفس ـ يظهر أثره عند خلو المرء بنفسه، فالإيمان ليس مجرد شعور ديني بل حاجة فطرية، وهو التفسير الأقرب للنفس والأكثر معقولية. فالتفسير الإلحادي للعالم لم يعد كافياً.

ـ من يبحث في أدلة وجود الله وقضية الإلحاد يجد نفسه مضطراً للرجوع إلى هذا المصدر، فهو من المراجع الهامة في إثبات الإيمان والرد على الإلحاد، فقد اعتمد المؤلف على مئات المراجع الأجنبية واللغات القديمة مما جعل طرحه يتجاوز الكتابات العربية التقليدية في الموضوع، فهو كتاب موسوعي يجمع بين الفلسفة والعقيدة والنظريات العلمية في الفيزياء وعلم الأحياء وعلم النفس وغير ذلك من العلوم.

ـ ترتيب الكاتب للبراهين على وجود الله يبدأ من داخل النفس ثم ينطلق إلى الكون وآياته، وفي نهاية كل قسم أو فصل يضع خلاصة لتسهيل استيعاب الأفكار المعقدة، واعتمد في تفكيك شبهات الالحاد المادي على أدبيات الملاحدة أنفسهم ومناقشة نظرياتهم بموضوعية وتجرد علمي.

ـ نجح المؤلف باستخدام البرهان العلمي كداعم ومعضد وهذا من باب مقارعة الحجة بالحجة فالإلحاد أيضاً يستعمل العلم كسلاح فكري لدعم مذهبه وأفكاره، كما أن تجاهل العلم في الدفاع عن العقيدة قد يجعل الإنسان منفصلاً عن لغة العصر. مع التأكيد على أن البرهان العلمي ليس هو الأصل في الاستدلال فالنماذج العلمية قد تتغير ويعاد تفسيرها مستقبلاً.

ـ كثير من الأفكار التي يعرضها الكتاب ليست اختراعات جديدة بل هي إعادة عرض وتنظيم لأدلة ناقشها علماء المسلمين والفلاسفة والمتكلمون عبر قرون، وبعض الحجج العقلية ترجع إلى مناقشات علماء الكلام والفلاسفة وعلماء المسلمين.

ـ ومن المآخذ على الكتاب أنه يحتوي على الكثير من المواضيع العلمية والفلسفية ويتطلب خلفية ثقافية معرفية لاستيعابه مما يجعله غير مناسب للقارئ العادي، فهو يحتاج إلى ثقافة فلسفية وفكرية لفهمه بصورة دقيقة، وقد صرح الكاتب بأنه يخاطب في كتابه هذا طبقة المثقفين، وليس العامة أو ذوي الاختصاص.

ـ سرد ومناقشة كل الاعتراضات ـ حتى التي تجاوزها الملاحدة أنفسهم ـ في إنكارهم وجود إله حَولَ الكتاب إلى موسوعة جدلية ضخمة على الرغم من أنه كان بإمكان الكاتب اختصار بعض الفصول وحذف أدلة مكررة، واستبعاد الحجج الضعيفة، بدل التشعب في التفاصيل الفلسفية الغامضة التي ترهق كثيراً من القراء، وتحتاج إلى صبر وخلفية فلسفية لفهمها.

التوصيات والمقترحات

تكشف البراهين التقليدية عن قوة التراث الفلسفي في الدفاع عن معقولية الإيمان بالله إلاَّ أن فاعليتها المعاصرة تظل محدودة ما لم يعاد بناء اسئلتها ومقدماتها في ضوء تحديات المعرفة الحديثة، لذلك فإن الحاجة اليوم ليست إلى تكرار براهين الحدوث أو الإمكان أو العناية بصيغها الكلاسيكية القديمة، بل إلى تطوير فلسفة جديدة تتفاعل مع معطيات العلوم الطبيعية، وفلسفة العقل، وتعقيد الكون، بحيث تنتقل من الدفاع التراثي إلى الحوار المعرفي المعاصر.

المصادر

القرآن الكريم.

ـ براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، سامي عامري، مركز تكوين للدراسات والأبحاث ـ لندن، الطبعة الأولى، 1440هـ /2018م.

ـ برهان الإمكان والوجوب عند الفارابي وأثره في الفكر الفلسفي، أحمد شوقي إبراهيم علي عبد الله، د. ط، د. ت.

ـ توحيد الخالق، عبد المجيد الزنداني، د. ط، د. ت.

ـ درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، 1411هـ ـ 1991م.

ـ الفيزياء ووجود الخالق، جعفر شيخ إدريس، مجلة البيان ـ الرياض، الطبعة الأولى، 1422ه ـ 2001م.

ـ مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد، تقديم وتحقيق محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية ـ مصر ـ الطبعة الثانية، 1964م.